التناص القرآني في دعاء كميل بن زياد النخعي

The Intertextuality relations of the Holy Quran with the Kumail prayer of Kumail Ibne Ziad Nakhai

نجمه عموئي

Najmeh Amouei

أ.م محمد مهدي شاهمرادي فريدوني

Mohammad Mehdi Shahmoradi Fereidoni

إيران / جامعة مازندران / كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية

Iran \ University of Mazandaran\ Faculty of Theology and Islamic Studies

الكلمات المفتاحية: روابط التناص، دعاء كميل، القرآن الكريم

Keywords: intertextual relations، Kumail prayer، Holy Quran.

الملخص:

إن الدراسات المتعلقة بالقواسم المشتركة بين المتون والعلاقة فيما بينها هو سبب في ظهور نظرية "التناص" أو "التداخل النصّي". تُعد العلاقات بين النصوص إحدى الطرائق والأساليب المهمه في عملية البحث، إذ أن كشف هذه التداخلات النصية وتحليلها يخلق حالة من الفهم والوعي الدقيق لها، الأمر الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى تكوين نص جديد مكتسب من تداخل كلا النصّين.

إن الدراسة الحالية تسعى إلى فهم وتحليل تأثير نص القرآن الكريم على نص دعاء كميل بن زياد، إذ أن الإمام عليّ (عليه السلام) قد قام بتحفيظ هذا الدعاء العرفاني ذو المعاني الرائعة إلى صاحبه كميل بن زياد النخعي.

يتطرق هذا البحث بداية إلى شرح الأمور النظرية، ثم يأتي على دراسة التناص الموجود بين دعاء كميل وتحليله بصفته (النص الحاضر) والقرآن الكريم بصفته (النص الغائب).

إن أسلوب التناص بين دعاء كميل والقرآن الكريم يضع بين يدي القارئ آفاقاً جديدة تمكّنه من الفهم والوصول إلى كُنَهِ معانيه وأدق أوصافه.

إن أغلب التناص بين دعاء كميل والقرآن الكريم كان على نحو كلمات بأسلوب النفي المتوازي والجزئي، إذ إن الارتباط الوثيق والعميق بين كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) والنص الغائب المتمثل بالقرآن الكريم، حيث خلق كلام الإمام علي ترابطاً وثيقاً بين محتويات ألفاظ الآيات القرآنية وكلامه في دعائه والوارد على لسان كميل بن زياد.

Abstract

Studies of the relationship between texts and the relationship between them have given rise to the theory of "intertextuality"، which should become a useful tool for audiences in reading a text. An intertextual relation is one of the important methods in research that leads to a deep and accurate understanding of the relationship between texts by discovering and analyzing them and creating a new text. The present study seeks to identify and analyze the influence of the Holy Quran on the word and content of Kumail prayer. Imam Ali taught this mystical and romantic prayer with its long themes to Kumail Ibn Ziad Nakhai. This research is the descriptive-analytical or analytical-documentary method. Hence، first، the theoretical issues are expressed and finally، the intertextual relations of Kumail prayer (present text) with the Holy Quran (absent text) are analyzed and studied. The intertextual approach of Kumail prayer with the Holy Quran puts a new horizon in front of the reader so that he can find the meaning of it and enjoy it more. Imam Ali in Kumail prayer using the word of revelation has strengthened the spiritual capacity of this prayer. The findings of this study confirm that the intertextual relationship between Kumail prayer and the Holy Quran is often lexical and in the form of "parallel and partial negation". The deep connection between the words of Imam Ali (AS) and the absent text indicates the

important issue that the Imam in addition to using the words of the Holy Quran، has also established a conscious interaction and communication with the content of the verses.

1- المقدمه

الفهم الصحيح للقرآن الكريم والسنة النبوية، لمع نجم عدد من العلوم مثل علوم اللغة والعلامات اللذان أديا دوراً هاماً فى بروز و نضوج فروعٍ بحثية جديدة. إن إحدى الفروع المبتكرة في علم العلامات (السيميائيات) هي "نظرية التناص" . يعتبر دعاء كميل من أفضل الأدعية حيث ان العلماء المسلمين اعتبروا مكانة دعاء كميل بين كافة الأدعية كمثل الإنسان بين كافة الكائنات (أفضل المخلوقات) وهناك تعبير جميل وصف به دعاء كميل حيث أعتبر إنسان الأدعية، أولى أهل البيت وعلماء الإسلام إهتماماً خاصاً لدعاء كميل.

يبدأ دعاء كميل بذكر الله وطلب رحمته، ويُذكر الإنسان برحمة الله وعفوه مهما كثرت ذنوبه وكَبُرّت مَعاصيه، ويبعث في النفس العشق والطُهر الإلهي. يُصَوّر دعاء كميل العبد الذي يقف بباب مولاه خاشعاً متوسلاً يُقر إلى ربه بمعاصيه وخطاياه ويبدي ندمه واعتذاره وتوبته بعد أن يناجي خالقه بكلمات مِلؤها الأمل برحمة الله وعفوه وقدرته على المغفرة، وفي نهاية المطاف وبعد أن تملء المُقل دمعاً وتفيض الأفئدة خشوعاً يتوب العبد إلى مولاه توبة نصوحة حينها يبسط الخالق تفضلاً ومنّا ورحمة إلى عبده جناح الرحمة والمغفرة ويغفر له خطاياه وذنوبه. بالنظر إلى أن الإنسان في العصر الحالي يعاني في المجتمع من مشاكل ذهنية وسلوكية وإرتباك و ميل للثقافة الأجنبية وعدم معرفة مكانته. فالاتكال على الله والاعتماد على تعاليم أهل البيت يمكن أن يحررنا من هذا الضلال.

لذلك، معرفة محتويات دعاء كميل على نحو كامل ودقيق أمر فى غاية الأهمية، وفي هذا الصدد، أجرى الباحثون دراسات مفيدًة عن دعاء كميل لكن حتى الأن لم تقم دراسة عن مقارنة التناص بين دعاء كميل والقرآن الكريم. وبناء على ذلك تم في هذا البحث التطرق الى تحليل أنواع التناص ودراستها بين دعاء كميل والقرآن الكريم.

2- التمهيد

2-1- أركان التناص

إن أي تناص يقوم على ثلاثة أركان رئيسة وهي: النص الحاضر، النص الغائب، روابط التناص حيث يُطلق على نقل كلمة أو معنى من نص غائب إلى نص آخر حاضر "رابطة تناص".

إن كل نص يشتمل في طياته على نصوص مختلفة أعيدت صياغتها على نحو جديد، بحيث لم يبق في هذه المتون شيء خفيٌّ باستثناء الإشارة والدلالات الخاصة بكل متنٍ على حده. وإن دراسة وتحليل وفهم هذه الإشارات

هو بمثابة معرفة النص الأصلي وفقاً للنص الغائب الذي اشتُقَّ منه، ويطلق على عملية كشف هذه الروابط بين نصوص اسم التناص أو التعالق النصّي.

يقسم الترابط النصّي بين نصّين حاضر وغائب إلى ارتباط ظاهر وارتباط مخفي، حيث يستفيد المؤلف من النص الغائب إما بطريقة مقصودة إذا يكون الكاتب على علم بالنص الغائب، أو يكون الترابط بينهما بمحض الصدفة ودون عِلمِ الكاتب[1].

وسنعمل في هذا البحث على دراسة وتحليل التناص أو التعالق النصّي بين القرآن الكريم بعنوان النص الغائب ودعاء كميل بعنوان النص الحاضر.

2-2-- أنواع نظريات التناص

جوليا كريستوفا قسمّت متون التناص على ثلاثة أقسام رئيسة: النفي الجزئي، النفي المتوازي، والنفي الكلي[2]. وسنأتي على شرح كلٍّ من التقسيمات السابقة بشكل مختصر في الصفحات القادمة.

أ- النفي الجزئي أو الاجترار: يقوم المؤلف في هذا النوع من التناص اللغوي على الإتيان في نصّه بجزء من النص الغائب ويجري فيه القليل من التعديلات، ويمكن أن يكون ما أتى به من النص الغائب جملة أو كلمة أو عبارة[3].

ب- النفي المتوازي أو الامتصاص: يطغى على هذا النوع نسبة أكبر من الإبتكار والتغيير في المتن المنقول من النص الغائب مقارنة بالنوع الأول، حيث يحضُر المتن الغائب في نظيره الحاضر بشكل لا يحدث تغيير في جوهر معنى النص المنقول.

ج- النفي الكلي أو الحوار: يتميز هذا النوع من التناص اللغوي بالحد الأكبر والأعلى من الابتكار والتغيير في النص المنقول، إذ يتوجب على الكاتب أن يكون ذا إلمامٍ وفهم كامل بالنصّ المخفي لكي يتسنّى له نقل قسم من النص الغائب إلى نصّه الحاضر وإجراء الابتكار والتغيير اللازم فيه على نحو يعطي معنىً للنص الحاضر يتطابق مع النص الغائب.

2-3- دعاء كميل

إن جميع أهل العلم والفضيلة يجتمعون على أن دعاء كميل الغني بمعاني الزهد والإخلاص والإشتياق لله عز وجل يجمعون على هذا الدعاء كان يطلق عليه اسم دعاء "الخضر" أو دعاء "الخضرية"، ولكنه وكون أن الإمام عليٍّ (عليه السلام) قام بتحفيظ هذا الدعاء إلى صاحبه كميل بن زياد الذي كان أحد خاصة أصحابه ولكونه من أهل العلم والفضيلة، و منذ ذلك الوقت اشتُهر هذا الدعاء بدعاء كميلٍ بن زياد.[4]

إن هذا الدعاء العظيم يتضمن كثيراً من المعاني العظيمة والرائعة لم يقف عند عتبة العارفين والعلماء بل شق طريقه ليسكن في تمام قلوب العاشقين ويعرُج بِهم إلى أرفع درجات العشق والكمال ليكون أنيسهم في مناجاة الخالق.

إن هذا الدعاء وبخصائصه العرفانية والروحية التي يضع فيها كل من يقرأه و يفتح له أبواب النجوى والنداء ويسلك به طريق الملكوت ليوصله إلى غاية الكمال والنشوى في مناجاة خالق الأكوان، حيث يكسب الدعاء قارئهُ كلّما قرأ منزلة ومقاماً أبهى وأعلى في طريق مناجاة رب الأكوان.

نُقل هذا الدعاء على لسان كلٍّ من: الشيخ الطوسي (360 – 385)، سيد بن طاووس (664 – 589)، العلامة محمد باقر المجلسي (توفي في 1111 هجري قمري)، العلامة البهبهاني (توفي في 1206 هجري قمري).

وكان العلامة المحدث القمّي قد نسب في كتابيه الشهيرين والعظيمين (مفاتيح الجنان ومنتهى الآمال) دعاء كميل إلى الإمام علي (عليه السلام)[5].

يندرج دعاء كميل تحت أحاديث نهج البلاغة، بفرق بينها حيث أن المواعظ والخطب التي وردت في نهج البلاغة كانت تخاطب المخلوقين أما دعاء كميل فكان المخاطب فيه الذات الإلهية المقدسة.

3- خلفية البحث

استُخدم مصطلح "التناص" للمرة الأولى من قبل الباحثة جوليا كريستوفا وذلك في العام 1960 ميلادي، وفي اللغة يعني هذا المصطلح "التناص"، ويجدر بالذكر أن "ميكائيل باختين" سبق العالمة كريستوفا في وضع خطوات عملية في هذا المجال ولذلك يعتقد بعض العلماء بأن "باختين" هو أول من طرح نظرية التناص[6].

وعلى نحو عام فإنه في أوروبا وبعض الممالك الغربية كُتبت عدد من الرسالات والمقالات والكتب طبقاً لنظرية التناص كما تخلل هذا الأمر ظهور اختصاصات جديدة لها[7].

أما في الأدب العربي المعاصر فقد أُلفت أعداد من الكتب في هذا المجال، حيث يمتلك عدد من العلماء مثل عبد الله الغدامي، صبري حافظ، ومحمد خير البقاعي، ومحمد بنيس آثاراً ومؤلفاتٍ غنيّةٍ وعظيمة في هذا المجال.

وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد عدد من المقالات المرتبطة في هذا المجال التي كُتبت باللغة الفارسية، ونذكر منها كتاب "مُدخل إلى التناص" والذي كتبه العالم الشهير "بهمن نامور مطلق" إذ يعدَّ هذا الكتاب ملخصاً لعدد من مقالاته ومؤلفاته في هذا المجال[8].

سنسعى في هذا البحث إلى إجراء بحث ودراسة شاملتين حول روابط التناص أو التداخل اللغوي بين القرآن الكريم من جهة وكلمات ومصطلحات دعاء كميل من جهة أخرى وذلك سعياً لإثبات الرابطة الوثيقة بين القرآن وأهل البيت عليهم السلام.

4- التناص اللغوي بين دعاء كميل والقرآن الكريم

اعتمد دعاء كميل في جوهره على آيات القرآن الكريم، على نحو سمح لظهور مختلف روابط التناص اللغوي بينه وبين القرآن الكريم، وسنعمل في هذا القسم على دراسة وتحليل هذه الروابط.

4-1- التناص اللغوي البُنيوي أو التركيبي

يقوم الكاتب في هذا النوع بنقل جزء من النص الغائب أو النص بأكمله إلى متنه الحاضر، وظهرت هذه الرابطة في دعاء كميل بنوعين مختلفين.

4-1-1- الاجترار

في هذا النوع من التناص يُستعمل نص من القرآن الكريم دون أي تغيير في النص الحاضر على نحو يعطي المعنى ذاته للنص الأول الغائب، وسنأتي هنا على ذكر مثال عن هذا النوع من التناص اللغوي

المتن الحاضر:

وَلاَ لِشَيْ ءٍ مِنْ عَمَلِيَ الْقَبِيحِ بِالْحَسَنِ مُبَدِّلاً غَيْرَكَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ وَ بِحَمْدِكَ.

المتن الغائب:

فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ.

(سورة الأنبياء، الآية 87)

روابط التناص اللغوي:

إن الإمام علي في هذا الدعاء وبعد إظهاره لعجزه وقلة حيلته واعترافه بان لا ساتر لعيوبه ولا غافر لذنوبه غير الله عز وجل، فهو لا سواه من يبَدِّلُ أعماله القبيحة بالحسنات والخيرات، ولا أحد سواه قادرٌ على التجاوز عن خطاياه وذنوبه، وهنا عَمِل الإمام علي (عليه السلام) على إظهار التوحيد لله عز وجل نفي وجود أي شريك له جل ثناؤه.

أما عن مناسبة ذكر شهادة التوحيد "لا إله إلا أنت" فلعلّ ذلك يعود، لأن الإمام علي قد أتى على ذكر أعمال وأفعال لا يمكن لشخص أن يقوم بها سوى الله عز وجل، ولذلك قال الإمام: "لا أجد لذنوبي غافرا ... " تعبيراً عن العشق الإلهي المكنون في القلب الذي أخرج حقيقة التوحيد من خفاء الروح إلى ظاهر اللسان وذلك حينما أتى على ذكر كلمة "لا إله إلا الله"[9]، أو ربما يُعزى السبب بأن كلمة "لا إله إلا الله" هي حصن الله الحصين[10].

وقام الإمام علي (عليه السلام) هنا بذكر قسم من المتن الغائب في متنه الحاضر على نحو دقيق ومتطابق ولذلك فإن الرابطة بين المتنين تعدُّ نفياً جزئياً.

المتن الحاضر:

وَأَنْتَ جَلَّ ثَنَاؤُكَ، قُلْتَ مُبْتَدِئاً، وَتَطَوَّلْتَ بِالإِنْعَامِ مُتَكَرِّماً، أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لاَ يَسْتَوُونَ.

المتن الغائب:

أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لاَ يَسْتَوُونَ.

(سورة السجدة الآية، 18)

روابط التناص اللغوي: في هذا القسم من الدعاء يُجلِّلُ الإمام علي الله عز جل كونه بكرمه وجوده لم يساو بين الفاسقين والمؤمنين، وإن هذا الحكم الإلهي العادل هو نعمة كبيرة على عباده لكي لا يغفلوا عن عاقبتهم ولا يضلوا طريق العبادة والطاعة وألّا يكفروا بالله فيكونون بذلك قد خرجوا من فئة المؤمنين والتحقوا بفئة الكافرين.

وقام الإمام علي (عليه السلام) هنا بذكر قسم من المتن الغائب في متنه الحاضر على نحو دقيق ومتطابق ولذلك فإن الرابطة بين المتنين تعدُّ نفياً جزئياً.

المتن الحاضر:

لَكِنَّكَ تَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ، أَقْسَمْتَ أَنْ تَمْلاَهَا مِنَ الْكَافِرِينَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَأَنْ تُخَلِّدَ فِيهَا الْمُعَانِدِينَ.

المتن الغائب:

وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.

(سورة هود، الآية 119).

روابط التناص اللغوي: إن جملة "تقدست أسماؤك" هي جملة معترضة وأتت بين إسم وخبر، ولكن الإتيان بجملة معترضة عادة يكون له غاية أو هدف، ومن الممكن أن تكون غاية الإمام علي في الإتيان بهذه الجملة هو للتنبيه ومن ثمَّ لتقديس أسماء الله الحسنى من أي عيبٍ أو نقص، كما أن المقصود من ذكرها هو تقديس الحق جلَّ وعلا من الظلم وذلك لأن بعض قَصار العقول والتفكير يتوهمون بأن الله يجبر الكفّار على الكفر ولذلك يقدم على تعذيبهم و هذا يعتبر ظلماً.

ورداً على هذا الوهم يجب القول بأن كل ما خلق الله هو خير محض، وأن شقاء الأشقياء وإصرارهم على ما يعمهون هو من يُخلّدهم في نار جهنم وليس إجبار خالق السماوات والأرض لهم.

أي إن الله جلَّ وعلا برحمته ولطفه بالعباد يدفع بهم إلى درب الخير والسعادة بعيداً عن الظلم والشر، لكن شرور الأنفس وأزّ الشياطين ووزّهم وظلم الناس أنفسهم وانكفائهم عن آيات الله وتكذيبها هو ما يدفعهم للفساد في الأرض عندها يقوم الله بحشرهم في جهنم بما فعلت أيديهم[11].

وقام الإمام علي (عليه السلام) هنا بذكر قسم من المتن الغائب في متنه الحاضر على نحو دقيق ومتطابق ولذلك فإن الرابطة بين المتنين تعدُّ نفياً جزئياً.

4-1-2- الحوار

يقوم المؤلف في هذه الرابطة اللغوية باستعمال تعابير النص الغائب الذي يتمثل في حالتنا هذه بالقرآن الكريم مع إجراء بعض التغييرات الطفيفة في بنية الجملة أو نحوها ويستخدمها في متنه الحاضر.

وبهذا الأسلوب يمكن الإستفادة من معنى وتركيب الآية القرآنية بأشكال وأوجه مختلفة، إذ يقوم المؤلف عادة بإضافة أو حذف أو تعديل بعض المفردات للوصول إلى غايته من النقل[12].

وقد قام الإمام علي (عليه السلام) بإحداث بعض التغيير في بنية بعض الآيات القرآنية واستعملها على طريقة الخاصة في دعاء كميل، وكمثال على ذلك ذكر هذه الفقرة:

المتن الحاضر:

"وَأَسْعَدَهُ عَلَى ذَلِكَ الْقَضَاءُ فَتَجَاوَزْتُ بِمَا جَرَى. عَلَيَّ مِنْ ذَلِكَ بَعْضَ(مِنْ نَقْضِ) حُدُودِكَ وَخَالَفْتُ بَعْضَ أَوَامِرِكَ"

المتن الغائب:

"قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ ... "(سورة النور، الآية 63).

روابط التناص اللغوي: يشير الإمام علي في النص الحاضر إلى أن أن القضاء الإلهي الذي يتيح للبشر فعل ما يريدون ويجعلهم يختارون ما يودّن فعله، دفعني لاختيار معصية الله ومخالفة أوامره.

وفي هذه الفقرة قام الإمام علي (عليه السلام) بالاستفادة من معنى الآية القرآنية في سورة النور، باختلاف واضح في الصرف النحوي، حيث أبدل الجمع الغائب " يُخَالِفُونَ" بحالة المتكلّم المفرد "خَالَفْتُ بَعْضَ أَوَامِرِكَ"، فضلا عن القيام ببعض التغييرات الطفيفة في التركيبة النحوية إذ أتى بها الإمام علي على نحو النفي الموازي.

المتن الحاضر:

" وَأَنْتَ تَعْلَمُ ضَعْفِى عَنْ قَلِيلٍ مِنْ بَلاَءِ الدُّنْيَا وَعُقُوبَاتِهَا "

المتن الغائب:

"الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ... " (سورة الأنفال، الآية 66)

روابط التناص اللغوي: إن الإمام علي(عليه السلام) وبعد أن أبرز لله عز وجل صفات التذلل والضعف تطرّق إلى بعض الصفات الإلهية كالرحمة والمغفرة الواسعة، ثم ختم قوله بإظهار الضعف والإنكسار لله عز وجل الأمر الذي يؤدي إلى جلب العفو والرحمة والمغفرة الإلهية.

ومما لا شكّ فيه بأن الحياة الدنيا يغلب عليها طابع المصائب والنوائب التي تصيب الإنسان، لكنّ تحمل الإنسان لهذه المصائب والصبر عليها وطلب الفرج والعون من الله في تجاوزها هو ما يؤدي إلى سمو الدرجة في الدار الآخرة والفوز بجِنان النعيم.

وقد قام الإمام علي(عليه السلام) في هذه الفقرة من الدعاء بالاستفادة من الفعل الماضي المفرد المستخدم للدلالة على الغائب "عَلِمَ" واستخدمه بالفعل المضارع الحاضر المستخدم للدلالة على المفرد "تَعْلَمُ"، كما قام بالاستفادة من كلمة "ضَعْفى" مكان كلمة "ضعفا" مع إجراء بعض التغيير في قواعد الصرف والنحو حيث استخدم الإمام في هذه الفقرة النفي الموازي.

4-2 - روابط التناص اللغوي اللفظي

إن الألفاظ والكلمات هي أول العناصر اللغوية التي يمكن لأي كاتب التعبير عمّا يدور في خلده عبرها، وفي رابطة التناص اللغوي اللفظي يقوم المؤلف مستعيناً بالألفاظ والكلمات من النص الغائب بإضفاء طابع مميز للغاية في نصّه الحاضر.

المتن الحاضر

يا نُورُ يا قُدُّوسُ يا اوَّلَ الْاوَّلينَ وَ يا آخِرَ الْاخِرينَ.

المتن الغائب

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. (سورة النور، الآية 35)

روابط التناص اللغوي: لقد قام الإمام علي في هذه الفقرة بإيصال مفهوم بأن نور الله يملأ السموات والأرض وما بينهما، حيث استخدم كلمة النور للدلالة على وجود الله عز وجل وحضوره في كل مكان، وذلك كون الله موجودٌ قبل أي موجودٍ آخر، وهو موجودٌ بمجرد وجوده وبه يُوجد كل شيء.

لقد قام الإمام علي هنا باستلهام كلمة "نور" من النص الغائب، واستخدم الكلمة ذاتها وبالمعنى ذاته في متنه الحاضر، ولذلك فإن الرابطة آنفة الذكر هي رابطة تناص لغوي من نوع النفي الجزئي.

المتن الحاضر:

وَخَدَعَتْنِي الدُّنْيَا بِغُرُورِهَا.

المتن الغائب:

فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ. (سورة لقمان، ص 33)

روابط التناص اللغوي:

إن المقصود من كلمة الغرور هو الشيطان الذي يُزَيّن للبشر الدنيا بحيله وألاعيبه ويودي بالإنسان إلى دروب الهلاك والخُسران، هذه الدنيا التي تُعد بمثابة فخٍ محكم تعد صيداً شهياً للشيطان الذي يتلذذ بإغواء الناس والسير بهم على دروب الهلاك.

إن السالك في درب الله يرى الدنيا والآخرة كما يرى الشروق والغروب إذ يكون لكلٍ منهمما اتجاه مختلف تماماً عن الآخر، لذا يجب علينا أن نتحلّى بالقناعة والرضا والشكر لما قسمه الله من نعمة لأيٍ منّا.

قام الإمام علي بالاستفادة من كلمة الغرور من سورة لقمان وأوردها في دعائه مع إحداث فرق في لفظها ومعناها الذي تدل عليه ومن ثمَّ تكون رابطة التناص هنا رابطةً من نوع النفي المتوازي.

المتن الغائب:

نَفْسِي بِجِنَايَتِهَا (بِخِيَانَتِهَا) وَمِطَالِي.

المتن الحاضر:

إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ. (سورة يوسف، الآية 53)

روابط التناص اللغوي: إن النفس هي تأسر القلب وتأمره بالسوء، وإن تأثيرها لدى عامة البشر أكبر من تأثيرها في قلوب العابدين والعلماء، وذلك لأن النفس هي من تحكم تصرفات الإنسان، وتستعين في ذلك بأعداء النفس الذين يتمثلون بالشَيطان وأعوانه، ويمكن تشبيه هذا الأمر بالعدو الموجود داخل منزل الإنسان الذى يعرف أدق تفاصيل هذا المنزل وبعلمه بذلك يعمل على هدم أركان هذا المنزل وتدميره.

قام الإمام علي بالاستفادة من كلمة "النفس" من سورة يوسف وأوردها في دعائه مع إحداث فرق في لفظها ومعناها الذي تدل عليه ومن ثمَّ تكون رابطة التناص هنا رابطةً من نوع النفي المتوازي.

4-3 - الامتصاص

لقد تجلت أنواع الروابط السابقة بحضور ألفاظ المتن الغائب في المتن الحاضر، لكن ما يميز هذا النوع من روابط التناص هو أن المؤلف يقوم بنقل معنى متن النص الغائب الذي يتجلى بآيات القرآن الكريم واستخدام هذا المعنى

بالألفاظ والتعابير الخاصة بالمؤلف في متنه الحاضر بحيث لا يلحظ القارئ حضوراً صريحاً للألفاظ القرآنية، ومثالنا على هذا النوع من الروابط الفقرات التالية:

المتن الحاضر:

وَبِقُوَّتِكَ الَّتِى قَهَرْتَ بِها كُلَّ شَىْءٍ، وَخَضَعَ لَها كُلُّ شَىْءٍ، وَذَلَّ لَها كُلُّ شَىْءٍ.

المتن الغائب:

وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ. (سورة الأنعام، الآية 18)

روابط التناص اللغوي: إن وجود جميع الكائنات والمخلوقات مقرونٌ بوجود الله عز وجل، وهي خاضعة خاشعة مقهورة لقدرة رب الأكوان، فإن أراد أوجد ما يريد وإن أراد أفنى ما يريد.

إن الحق جلَّ وعلا ذو رحمة واسعة و صاحب قدرة كاملة وقوة قاهرة يقهر بها جميع عباده ومخلوقاته التي تقف عاجزة أمام عظمة قدرته وجبروته وكبريائه.

لقد قام الإمام علي (عليه السلام) بالاستفادة من الآية القرآنية الكريمة وتوظيفها في الدلالة على عظمة الله عز وجل وقدرته، ومن ثمَّ تكون رابطة التناص بينهما رابطة من نوع النفي المتوازي

المتن الحاضر:

وَبِوَجْهِك الْبَاقِى بَعْدَ فَنَاءِ كلِّ شَىءٍ.

المتن الغائب:

كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. (سورة القصص، الآية 88).

روابط التناص اللغوي: إن ما قصده الإمام علي (عليه السلام) من كلمة "وجه" هو الذات الإلهية المقدسة التي نعتها الإمام بصفة البقاء والدوام[12].

إن البقاء هي صفة تكميلية وهى موجودة بالأصل بوجوب وجود الذات الإلهية، التي تتلخص إحدى صفاتها بالبقاء والدوام.

أي أن أي شيء مرتبط بالذات الإلهية أو يمتّ لها بصلة هو موجود و دائم، لا أن يكون فانياً أو زائلاً، و ذلك لأن الفناء والزوال هو من الصفات التى تدلّ على النقص، وقد تنزّه الله جل وعلا عن أي نقص. وإن مُراد الإمام علي من هذا التعبير هو أن يعرف الإنسان بأن لله وجوداً حقيقاً وحتمياً وأن أي شيء دون الله هالك وفانٍ لا محالة.

كما أن المراد من فناء كل شيء هو فناء جميع المخلوقات والكائنات على اختلاف أصنافها وأنواعها وهذا بالضبط ما نصّت عليه الآية الكريمة، وهذا ما أراد الإمام الإشارة إليه بأن الفناء والزوال هو مصير كل المخلوقات والكائنات باستثناء الله عز وجلّ، وبهذا تكون الرابطة بين النصّين رابطةَ نفيٍ متوازٍ.

المتن الحاضر:

اَللَّهُمَّ اِنّي اَتَقَرَّبُ اِلَيْكَ بِذِكْرِكَ، وَاَسْتَشْفِعُ بِكَ اِلي نَفْسِكَ.

المتن الغائب:

اذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ. (سورة البقرة، الآية 152).

روابط التناص اللغوي: لعلَّ ما قصده الإمام علي (عليه السلام) هنا هو أن يقول بما أن ذكرك يارب هو سبب تقربي منك، أطلب من وجهك الكريم أن تلهمنى أن أتقرّب إليك بدوام ذكرك وشكرك وأن تُنقذني شفاعتك من شر نفسي.

إنه كلما فاض القلب وانشغل بذكرك تزول كل وسوسة للشيطان أو أمر بالسوء، فأسألك يارب أن تجلي غبار قلبي وتجعله موضعاً لنورك الإلهي لكيلا يبقى في القلب معشوق سواك أناجيه فيُلبسني ثوب الطمأنينة والسكينة.

لقد استفاد الإمام علي (عليه السلام) في هذه الفقرة من القرآن الكريم حيث عَنوَن طريق التقرب من الله بذكره وشكره، وتكون الرابطة بين هذين النصين رابطة نفي متوازً.

4-4- رابطة التناص اللغوي بالشخصيات القرآنية

في هذا النوع من روابط التناص اللغوي يقوم المؤلف باستخدام دلالات أو أشخاص أو حوادث أو قصص ما من المتن الغائب ويستخدمها في نصّه الحاضر باختصارها ببضع كلمات تدل على المعنى نفسه والسياق للنص الغائب.

المتن الحاضر:

كُلَّ سَيِّئَة اَمَرْتَ بِاِثْباتِهَا الْكِرامَ الْكاتِبينَ.

المتن الغائب:

كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّين● وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحافِظينَ● كِراماً كاتِبينَ● يَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُونَ. (سورة الانفطار الآيات 9-10-11-12).

روابط التناص اللغوي: إن ما قصده الإمام علي بذكره لهذه الفقرة هو الإشارة إلى أن الله وضع ملكين كريمين يكتبان ويسجلان كل ما يصدر عن الإنسان من أفعال أو أقوال وذلك لكي يحضّ عباده على ذكره وشكره وتجنب عصيناه ومخالفة أوامره عبر تذكريهم بوجود من يدوّن أفعالهم وأقوالهم.

فحينما يريد الإنسان أن يعصي أمراً من أوامر الله عز وجل يتذكر وجود هذين الملكين وينهي نفسه عن ارتكاب الذنب أو المعصية: إن الملائكة تراني وتسجل كل كبيرة وصغيرة تصدر عنّي[13].

لقد استخدم الإمام علي في دعائه مصطلح "الكرام الكاتبين" الذي ورد على نحو مطابق مع ما في القرآن الكريم وبذلك تكون الرابطة بينهما رابطة نفيٍّ جزئي.

النتيجة:

1- إن استعانة الإمام علي (عليه السلام) بكلام القرآن الكريم ضاعف نورانية وزاد جمالية معاني دعاء كميل إلى حدود لا يمكن وصفها، وإن نهج التناص اللغوي بين القرآن والدعاء كان ذا منحىً أفقي وذلك لكي يتسنى للقارئ إيجاد المعاني التي تختبئ خلف حروف هذا الدعاء التي صيغت بإتقان فريد الأمر الذي يسهل حفظه وفهمه.

2- تتمثل روابط التناص اللغوي بين دعاء كميل والقرآن الكريم بثلاثة أنواع هي التركيبي واللفظي والمضموني، وقد كانت رابطة النفي المتوازي هي أبرز الروابط التي ظهرت في هذا البحث.

3- إن الرابطة بين دعاء كميل والقرآن الكريم كانت من نوع النفي المتوازي وعن دراية وإلمام للكاتب ما يقوم به من اقتباس، حيث قام الإمام علي (عليه السلام) بالاستفادة من الآيات الكريمة دون المساس بجوهر معنايها.

4- تجلي تكرار استخدام روابط التناص اللغوي بالترتيب التالي:

تناص كلامي ← تناص بُنيوي من النوع الأول ← تناص مضموني ← تناص بالشخصيات القرآنية ← تناص بُنيوي من النوع الثاني

الهوامش:

1- قائمي، مرتضى، محققي، فاطمه، التناص القرآني في مقامات ناصيف اليازجي، ص 51 إلى 59.
2- مسبوق، سيد مهدي، روابط التناص بين القرآن وخُطب نهج البلاغة، ص 205 إلى ص 224.
3- ميرزايي، فرامرز واحدي، ماشاء الله، روابط التناص بين القرآن الكريم و أشعار أحمد مطر، ص 299 إلى 322.
4- كلباسي اشتري، محمد رضا، أنيس الليل، ص 68.
5- كلباسي اشتري، محمد رضا، أنيس الليل، ص 73.
6- ستوده نيا، محمد رضا، محققيان، زهرا، التناص بين القرآن الكريم و الصخيفه سجاديه، ص 21 الى 36.
7- فتاحى زاده، فتحيه، معتمد لنگرودى، فرشته، روابط التناص بين القرآن و خطبة فدك، ص 95 الى 132.
8- نامور مطلق، بهمن، مقدمة إلى التناص، النظريات والاستخدامات، ص 308.
9- كلباسي اشتري، محمد رضا، أنيس الليل، ص 287.
10- صدوق، أبو جعفر بن محمد بن بابويه، امالي، ص 232.
11- الطباطبائي، محمد حسين، ج 11، ص 86.

12- عباس زاده، حميد، الإقتباسات القرآنية في نهج البلاغة، ص 67 إلى ص 83.
13- الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي، احتجاج، ج 2 ص 95.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.
الطباطبائي، محمد حسين (1384 هجري شمسي)، ترجمة تفسير الميزان، المترجم: موسى الهمداني، محمد باقر، قم، مكتب المطبوعات الإسلامية، ج 11، ص 86.
الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي (1386 هجري قمري)، احتجاج، بيروت، دار النعمان، ج 2 ص 95.
أنصاريان، حسين (1379 هجري شمسي)، ترجمة دعاء كميل، مطبوعات البرهان.
ستوده نيا، محمد رضا، محققيان، زهرا (1395 هجرى شمسى)، التناص بين القرآن والصحيفة السجادية، بحوث القرآن اللغوية، رقم 9، ص 21 الى 36.
صدوق، أبو جعفر بن محمد بن بابويه (1417 هجري قمري)، امالي، قم، مؤسسة البعثة، ص 232.
عباس زاده، حميد (1389 هجري شمسي)، الإقتباسات القرآنية في نهج البلاغة، فصل المطالعات التفسيرية، س 1، ش 1، ص 67 إلى ص 83.
فتاحى زاده، فتحيه، معتمد لنگرودى، فرشته (1395 هجرى شمسى)، روابط التناص بين القرآن و خطبة فدك، السراج المنير، ص 95 الى 132.
قائمي، مرتضى، محققي، فاطمه (1390 هجري شمسي)، التناص القرآني في مقامات ناصيف اليازجي، فصلين تخصصين بحثيين في الفروع القرآنية، السنة الثانية، الرقم الخامس، ص 51 إلى 59.
كلباسي، اشتري، محمد رضا (1398 هجري شمسي)، أنيس الليل، قم، مؤسسة بوستان الكتاب، الطبعة الثانية.
مسبوق، سيد مهدي (1392 هجري شمسي)، روابط التناص بين القرآن وخُطب نهج البلاغة، فصلين علميين، قسم دراسات وبحوث القرآن الحديث في جامعة الزهراء، السنة العاشرة، رقم 2، التسلسل 22، ص 205 إلى ص 224.
ميرزايي، فرامرز، واحدي، ماشاء الله (1388 هجري قمري)، روابط التناص بين القرآن الكريم وأشعار أحمد مطر، منشورات كلية الأدبيات والعلوم الإنسانية في جامعة باهنر كرمان، رقم 25، ص 299 إلى 322.
نامور مطلق، بهمن (1394 هجري شمسي)، مقدمة إلى التناص، النظريات والاستخدامات، طهران، منشورات سُخَن، الطبعة الثانية، ص 308.